... ولو مرةً واحدةً!

كيف تتحوّل أمّةٌ عريقةٌ، كأمّتنا، إلى نعاجٍ تَنْتظر الذّبح؟

أليس هذا ما صِرْنا إليه؟

ألسنا اليوم، جميعُنا، نكتفي بانتظار اللحظة التي يَطْلع فيها علينا جورج دبليو بوش بكذبة جديدة تبرِّر ذبحَه للعراق؟

أحدَ عشرَ عامًا من الحصار. أوْدت بحياة أكثر من مليون ونصف مليون عراقيّ، غالبيّتُهم من الأطفال. ولم تستطع هذه الأمّة أن توقف الحصار.

واليوم، يعيش الشعبُ العراقيُّ على حافة حربٍ هائلة (قد تكون نوويّة) تشنّها قيادةٌ يمينيّةٌ صهيونيّة موتورة في البيت الأبيض. ولا تستطيع الأمة العربيّة أن تَفْعل شيئًا لوقف احتمال قيام هذه الحرب.

غدًا أو بعد غد، قد يُعلن بوش أنّه اكتشف قرينةً هامةً تَرْبط بين محمد عطا وصدّام حسين (لعلّهما أخوان، أو لعلّ الأوّل أمُّ الثاني!) وساعتَها ستُجنّ سماءُ بغداد، وشوارعُها، ومتاحفُها، وأطفالُها، وأقواسُها، وأبراجُها، ودجلتُها وفراتُها، وبيتُ حكمتها.

وسنكون نحنُ أمام التلفزيون، أو نتظاهر في الشوارع قبل أن نعود إلى منازلنا مرتاحي الضمير... ولكنْ من دون أن تتوقف المذبحة العراقيّةُ (والفلسطينيّةُ) بالسّلاح الأميركيّ.

أما آن لهذا الروتين المملّ أن ينتهي؟

لقد حان الوقتُ لكي نهبّ هبّةَ رجل واحد (أو امرأةٍ واحدة) في وجه الولايات المتّحدة الأميركيّة. وحان الوقت لأن نقول لأنفسنا ولغيرنا إنّ «الشارع العربيّ» ليس محضَ خُرافة!

ترى، هل يُعدّ فنّانونا ومثقفونا تظاهراتٍ تَنْطلق في اليوم ذاته، من كلّ عاصمة عربيّة، تَحْمل عنوانًا واحدًا: أيّتها الأنظمة، احفظي كرامتَنا ولو مرةً واحدة... أو دعينا نمدّ يدَ العون للعراق وفلسطين ـ سلاحًا ومقاتلين ومالاً وكلمةً صادقة؟

ألا يبادر كبارُ مثقفينا، ولاسيّما أُولئك المعروفون في الغرب، إلى الذهاب إلى بغداد (بغضّ النظر عن موقفهم من نظامها لأنّ الحرب القادمة تَسْتهدف العراقَ والأمّةَ أولاً)، بمعيّة نشطاء أوروبيّين وأميركيّين محبّين للسلام، لكيْ يدرأوا عن إحدى أهمّ عواصم الحضارة العربيّة ويلاتِ الموت؟

هل نتخلّى عن ريفيّتنا (التي نسمّيها «خصوصيّةً ثقافيّةً» ظُلْمًا وبهتانًا) فننخرط في تحالفاتٍ طال انتظارُها مع الحركة المناهضة للعولمة الليبراليّة، والتي تضع فلسطينَ والعراقَ على رأس أَجَنْدتها السياسيّة؟

هل تَنْشط حركةُ مقاطعة الشركات والمؤسسات الداعمة لإسرائيل (فيليب موريس، كوكاكولا، ماكدونالدز،...) وتتّسع وتنسّق في ما بين تشكيلاتها القُطْريّة، لتُصْبحَ نمطَ حياة كلِّ مُستهلك عربيّ، فنُرسل إشارةً واضحةً إلى أميركا ـ راعية معظم هذه الشركات (تُرى مَنْ يَرْعى مَنْ؟) ـ بأنّ الشعب العربيَ هو مَنْ سيؤْذي الولايات المتحدة إنْ واصلتْ عدوانَها علينا وإنْ واصلت الأنظمةُ تخاذلَها؟

وهل يكون كلُّ مثقف عربيّ مثلَ ناجي العلي: حادًّا كنصل السيف، باهرًا كعين الشمس؟

سماح إدريس